مراجعة لكتاب

فقه الانتماء إلى المجتمع والأمة[*]

تحرير: فتحي حسن ملكاوي[**]

منذر عرفات زيتون[***]

مقدمة:

هذا الكتاب: "فقه الانتماء إلى المجتمع والأمة" يجمع في صفحاته نخبة من البحوث التي قُدمت بين يدي المؤتمر العلمي الذي نظمه المعهد العالمي للفكر الإسلامي، بالتعاون مع الجامعة الأردنية في العاصمة الأردنية عمان منتصف عام ٢٠١١م، والتي وقفت على أحكام ومعان وأفكار تؤصل وتفصل في هذا الموضوع العريض الذي حسن طرقه في أثناء الواقع الحالي للأمة، والتي يبدو أنها –وسط ما تعيشه من حوادث وأحداث– بحاجة دائماً إلى التذكير بمعنى الانتماء، وواجب إحيائه في نفوس أبنائها ومجتمعاتهم.

يكاد يكون طبيعياً أن تُنازعَ الفردَ أهواء ومصالح واتجاهات تدفعه أحياناً ليستقل بنفسه أو برأيه، وتفصله عن جماعته التي يعيش فيها؛ إن كان على مستوى الأسرة أو المجتمع أو الأمة، لكن لا يمكن القول إنَّ من الطبيعي أن يكون ذلك الأمر دائماً، بحيث يحيا الإنسان لنفسه فقط، أو يسعى إلى الاستقلال بشأنه تماماً عن غيره وكأنه يعيش بمفرده، لأن الإنسان ابتداء لا يمكنه أن يعيش بمعزل عن الآخرين لحاجته إليهم وحاجتهم إليه. فالإنسان مدني بطبعه –كما نقل ابن خلدون–، ولأن الإصرار على الاستمرار في

---

[*] ملكاوي، فتحي حسن (محرر). **فقه الانتماء إلى المجتمع والأمة**، فرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط١، ٢٠١٢م.

[**] دكتوراه في التربية العملية وفلسفة العلوم، والمدير الإقليمي للمعهد العالمي للفكر الإسلامي. البريد الإلكتروني: fathihmalkawi@gmail.com

[***] دكتوراه في الفقه وأصوله، مستشار التوعية الأسرية في وزارة التنمية الاجتماعية الأردنية، وأستاذ الشريعة والدراسات الإسلامية في عدد من الجامعات الأردنية. dr_mzaytoon@hotmail.com

تم تسلّم المراجعة بتاريخ ٢٠١٣/١٢/١م، وقُبلت للنشر بتاريخ ٢٠١٤/٣/٥م.

هكذا حياة سيؤدي إلى الإنانية والشخصانية ثم إلى التنافس والتسابق على حيازة الأشياء والمنافع، وهو ما قد يتطور إلى نزاعات وخصومات بين الناس، وهذا قطعاً مما سيؤدي إلى اختلال موازين الحياة وذهاب المنافع كلها، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ﴾ (الأنفال: ٤٦).

ثم لا بدّ للإنسان الواعي أن يحيا من أجل الهدف الذي خلق من أجله، وهو عبادة الله تعالى وإعمار الأرض، وهو ما يقتضي انتماءً حقيقياً للدين وأهله، وعملاً بما جاء به من أحكام ومقاصد، التي تؤكد على أن الإنسان لا يعيش لنفسه فقط ولا لشأنه فحسب، وإنما يعيش لغيره كذلك، فهو مأمور بالدعوة والبذل والنصيحة والتضحية... وغيرها من الأمور التي توجب على الإنسان أن يوسع دائرة الانتماء، إلى حدّ قد يصبح شخصه فيها أقل الأطراف نيلاً لاهتمامه وحرصه، وليس معنى هذا إهمال الذات بقدر ما يعني واجب الالتفات لأمور الآخرين.

وعليه، أمكن القول إنَّ دوائر الانتماء في حياة المسلم تتعدد وتتنوع من انتماء للفكرة، وعلى رأسها الدين القويم، إلى الانتماء للناس، وعلى رأسهم الأمة المسلمة إلى الانتماء للأشياء وعلى رأسها الأرض. وهو ما يخرجه من الدوائر الضيقة التي تحيط به أو تحيط بمصالحه أو بالأفراد الذين يهتم لهم، إلى الدوائر الأوسع التي ربما لن تنتهي في اتساعها؛ إذ كلما اتسعت متعلقاته اتسعت واجباته فاتسعت انتماءاته وقد تشمل الأرض والإنسانية كلها، ولذلك لا عجب أن يكون الرسول محمد ﷺ بعث للعالمين جميعاً.

يعاني واقع الأمة اليوم من الانقسام والتنافس والتصارع بين أفرادها، حتى مزقت العصبيات المتعددة المتفرقة جسم الأمة الإسلامية. وفي خضم ذلك كله ومع فقدان الاتجاهات، تخلى كثير من الناس عن قيمهم ومبادئهم وأخلاقهم، وتاهوا في مرجعياتهم، وانكبوا على البحث عن بدائل تكون بالنسبة لهم أكثر وضوحاً وأسهل فهماً وأدعى لتلبية تطلعاتهم الأنانية، فتعددت الانتماءات، وتعاظمت الأهواء، وعلا صوت الجهل، وتحكّم منطق القوة، ودخل المسلمون –كما نرى اليوم– في أتون صراع لا يظهر له من

آخر، إلا برحمة من الله تعالى. ولذلك فإنَّ الأمة تحتاج اليوم إلى عودة لجادة الصواب، يعلو فيها صوت الدين الجامع لهم، وتذوب فيه كل العصبيات والأنانيات والخلافات، ليعود حكماً عدلاً فيهم، يعطي الجميع حقوقهم، ويطلب من الجميع واجباتهم بعدل وكرامة، وهو ما يتطلب توجيه بوصلة الانتماء إلى الدين أولاً، ليتقدم على كل ما سواه، وتخبو تحت ظلاله كل الانتماءات الجزئية أو الفرعية.

يأتي هذا الكتاب ليناقش هذه الأمور كلها، ويسهم في بناء فقه الانتماء من جديد، وقد تضمن أربعة أبواب تناول كل منها محوراً متكاملاً؛ في مفهوم الانتماء وعوامل بنائه، وفي دوائر الانتماء وتكاملها، وفيما يعيق الانتماء في المجتمع والأمة. وقد قام على تحرير الكتاب الذي تكون من ٤٦٣ صفحة –من القطع المتوسط– الدكتور فتحي حسن ملكاوي؛ المدير الإقليمي للمعهد العالمي للفكر الإسلامي.

الباب الأول: "مفهوم الانتماء إلى المجتمع والأمة وعوامل بنائه"، وتضمن خمسة فصول، هي:

١. الانتماء للأمة في الرؤية التوحيدية من شرطية الطبيعة والخلقة إلى أفق القيمة: للباحث الحاج بن أحمنة دواق، الذي توقف –في معرض تعريفه للأمة– عند طروحات في الفكر الإسلامي المعاصر تربط بين الوجود الجماعي للأمة، ووجودها القيمي الأخلاقي، بما يجعلها وفق هذا المفهوم جماعة أخلاقية، لا تسعى لتحصيل مزيد من الحقوق، وإنما أيضاً من أجل القيام بمزيد من الواجبات؛ لأن الواجبات هي الأصل في اكتساب التخلُّق وليس الحقوق. وفرّق الباحث بين الظاهرة الطبيعية والظاهرة الإنسانية في توليد الانتماء، وتوصّل إلى أن جدوى الأمة بوصفه إطاراً عاماً للانتماء إنما يكون بمنطلقه المعنوي وأفقه القيمي –وليس الطبيعي أو المادي–، فالأمة لا تختص بفئة محددة من الناس في أي زمان أو مكان، وإنما كل البشر بغض النظر عن مصدرهم الجغرافي ومنبتهم التاريخي؛ لأن الرؤية التوحيدية ترمق تكوين البشر بعين وجودية كونية عامة وشاملة، فهم من أصل واحد ومسار متقارب ومصير مشترك؛ فالمسلم إنسان والإنسان

مسلم، والإسلام يعمُّ كافة المخلوقات والشعوب تكوينياً. ومن هنا يتأسس الانتماء للأمة على اعتبار ماهوي واحد وإن اختلفت تجلياته، وهو ما يمنح البشر نقاط اللقيا حال الصدام والصراع، أو على الأقل يتيح لهم الدخول إلى عوالم بعضهم للتعارف والتكامل، وفي الأخير يتقوّم الإنسان خليفة لله سبحانه في كل مكان ومان، فتنشأ إنسانية راقية تترفع عن الصراعات ووتتعاون للصالح العام.

٢. فقه الانتماء إلى المجتمع والأمة بين المفهوم العقدي والإجرائي: للباحث عمران سميح نزال، الذي يرى أن القضية الأساسية التي ينبغي النظر إليها باهتمام هي دور الإنسان في التكوين المعرفي، فالمعادلة الصحيحة بين الإنسان والإسلام –بحسبه– تقوم على الأساس المعرفي في فهم الإنسان وفي فهم الإسلام، وقد كان أول موضوع تناوله الوحي في رسالة الإسلام القراءة؛ إذ قال الله تعالى (اقرأ باسم ربك الذي خلق) للدلالة على أن العلم والمعرفة يمثلان أساس الإيمان القويم، فالإيمان فعل معرفي يبدأ بالقراءة والعلم والتصديق والاطمئنان بل ويزداد بها؛ فكلما زاد المسلم من رصيده المعرفي زاد إيمانه، ولذا، أمكن القول إن التأسيس المعرفي بالعلم والإيمان أساس الانتماء للدين، وهو ما يؤكد أن الانتماء الاجتماعي ومقوماته لا بدّ أن يكون في إطار الأمة، ولذلك عبَّر القرآن الكريم عن الوجود الاجتماعي الذي ينتقل من المستوى الطبيعي للاجتماع البشري إلى المستوى الثقافي بمصطلح الأمة. ومصطلح الأمة الذي تكرر في القرآن مرات عديدة يعبّر عن جمع بشري ميزته الأساسية الثقافة المشتركة التي مصدرها رسالة نبوة قائمة أو سابقة، فقال تعالى –مثلاً– (وإن من أمة إلا خلا فيها نذير). فالأساس الإسلامي لقيام الأمة هو الأساس المعرفي وليس الأساس العرقي ولا القومي ولا اللغوي ولا العنصري، لأن الأساس المعرفي هو الذي يؤسس لهوية الأمة وخصوصيتها وليس غيره.

٣. علاقة الانتماء بالعمران البشري والتحضر الإنساني: للباحثين عبد الله الكيلاني ورولا الحيت، واللذين اهتما بإبراز الصلة بين الانتماء والعمران انطلاقاً من فكرة تحقق الاجتماع، وبحسب ما ذهبا إليه فإنه لا بدّ من الاجتماع ليتمكن الفرد بتعاونه مع أخيه وقريبه من سد عوزه والقيام بأعباء تحتاج إلى جهد جماعي، فكلُّ الناس محتاج وهم

مختلفون في حاجاتهم، وكلٌ يبحث عن حاجته عند غيره، فيتم الاجتماع أولاً على أساس أُسري كما في المجتمعات البدائية؛ لأن قرابة النسب تحمل أصحابها على التناصر والألفة فطرةً، ثم تقوم تجمعات أكبر على أساس أوسع من رابطة الدم كالانتماء للإقليم أو الانتماء للدين الذي يقوم مقام النسب في تحريك تعاطف فطري للنصرة والتضامن، ورفض الضيم على أفراد جنسه، ثم تحدث تحالفات بين التجمعات كالمنظمات الدولية والإقليمية. وتزداد قوة العمران بحسب قدرة كل جماعة على استيعاب عدد أكثر من الناس من أعراق متنوعة وأقاليم شتى وملل متنوعة، وجمعهم على رابط يوحدهم كوعاء تلتقي فيه الشعوب والقبائل على أساس يرتقي فوق المستوى الإقليمي والعرقي والمذهب والملّي، لتصبح هذه الروابط رحماً جديدة ينتمي إليها الناس، ويتحقق بهذا الرابط الجديد أُلفةً جامعة تنعطف القلوب عليها، ويندفع المكروه بها وهو المعبَّرعنه بالأمة. وبحسب المعايير الإسلامية فإن ما يتمايز به البشر من انتماءات نسبية كالانتماء للعشيرة أو الانتماء للغة لا تنشىء فارقاً معتبراً للتفاضل عند الله تعالى، ولا تعد مسوغاً لأخذ حقوق إضافية أمام التشريع والقضاء. ومن هنا يرفض الإسلام التمييز العنصري والطبقي ويدعو إلى الانخراط في رابطة الأمة الجامعة التي يمكنها أن تستوعب في داخلها كل أشكال الترابط الاجتماعي وأن يكون الانتماء لها متقدماً على أي انتماء آخر.

٤. **دور العقيدة الإسلامية في تعزيز الانتماء للمجتمع (عقيدة الإيمان باليوم الآخر نموذجاً)**: للباحث صالح نعمان، والذي يرى أن العقيدة اليوم تقع في نفوس المسلمين موقعاً باهتاً بعد انسحاب كثير من المفردات العقدية من الذهنية الإسلامية، حتى لم يعد لها أثرٌ يحرك إرادتهم لتدفع جوارحهم إلى العمل ولو قليلاً، ذلك أن العقيدة هي الدافع الأكبر نحو العمل بوصفها الهوية المعنوية الثقافية التي يرجع إليها التفكير ويصدر عنها السلوك. وقد تسبب ذلك -بحسب الباحث- إلى أن يؤول مردّ سواد المسلمين إلى واقعهم الراهن الذي تراهم فيه يتسابقون في انضباط السلوك الظاهر وطويتهم هواء لا تجيش بالإيمان وعزائمه التي تحدث النهضة في واقع حياتهم، وهو ما يدعو إلى إحياء التوعية العقدية لتصبح مجدداً واقعة في وعي الأمة موقع الاعتقاد الواعي

المكين. وبرأي الباحث فإن دور العقيدة الإسلامية في تعزيز الانتماء يتجلى في الترشيد العقدي للتصور والسلوك، وتحقيق التكامل بين دوائر الانتماء ومتقتضياته العملية؛ إذ الانتماء للدين يثمر التقوى ويوقظ في الإنسان الشعور بالمسؤولية أمام ربه وأمام نفسه والناس بما يحقق الطمأنينة والفاعلية الاجتماعية، وبما يمتن مشاعر الانتماء للمجتمع ومظاهره، فيولد تنمية شاملة ويجعل مفاهيم الشهادة على الناس والخيرية شأناً يؤثر في الواقع، فيرقى هذا الانتماء إلى مستوى الأمة وإلى مستوى الإنسانية، ويسهم في تحقيق مهمة التعمير والاستخلاف. على أن الانتماء للأمة يمثل جامعة الدين التي جعلها الإسلام الجامعة الحق، وأبقى ما عداها من الجوامع فرعيةً صالحةً، ما لم تعد على هذه الجامعة الكبرى بالانحلال، وجعل رابطة الدين الحق هذه رابطة مقدسة تصغر أمامها الروابط كلها ليكون الناس بها أمة واحدة تجمعها وحدة الاعتقاد والتفكير والعمل الصالح.

٥. **قاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ودورها في تعميق مفاهم الانتماء إلى المجتمع والأمة:** للباحثة شفاء الفقيه التي رأت أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يعد قاعدة مهمة في الإسلام ومبدأً أساسياً في تعزيز مفهوم المسؤولية الفردية والمجتمعية، وتنمية شعور الأفراد بالغيرة على مجتمعهم وأمتهم. ولذلك، لا عجب أن ارتبط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالأمة الإسلامية ارتباطاً وثيقاً، حتى إن الله تعالى أثبت الخيرية لهذه الأمة بهذا الأمر، فقال تعالى (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر)، وقال (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتومنون بالله)، وهو ما يؤكد على أن وجود الأمة الفاعلة لا يتحقق إلا بتفعيل هذا الواجب، واعتباره رسالة عظيمة يجب التمسك بها ونشرها والمحافظة على استمرارها. ومن ثم، فإن قيام الفرد بتطبيق هذه القاعدة في واقع حياته كلها يعد مظهراً من مظاهر انتمائه لأمته، وسعياً منه مع الآخرين للمحافظة على كيانها وتماسكها، ودرءَ ما قد يهددها من المخاطر والاختلالات. وبيّنت الباحثة بأن واقع الأمة الحالي يعكس صورة مؤلمة لغياب هذه القاعدة المهمة من حياة الأفراد، وذلك لأسباب عديدة مثل:

الجهل، والإهمال، والإغراق في مصاعب الحياة ومتطلباتها، وكذلك الخوف من السلطة وأذاها، وغياب دور المؤسسات والهيئات في إقامة هذا الواجب وتبنيه وتفعيله، ما يجعل طرح هذا الموضوع ضرورة كبرى لتوجيه الأفراد نحو تطبيقه وتحمل مسؤولياتهم تجاه أنفسهم ومجتمعهم ودينهم وأمّتهم.

الباب الثاني: دوائر الانتماء وتكاملها ومستوياتها، ويتضمن ثلاثة فصول، على النحو الآتي:

١. **مقاربات ومسائل من فقه الانتماء إلى واقع المجتمع والأمة،** في هذا البحث يبين إسماعيل الحسني الحاجة الماسة إلى الوضوح المنهجي في مقاربة المفكر المسلم في معالجته لمسائل واقع الأمة وإشكالاته، وفي طليعتها الموقف من ثلاث مسائل رئيسة هي:

- مسألة معيار الحكم على انتماء واقع المجتمع المعاصر إلى الإسلام، وقد بين أن المقاربات متعددة في هذا الصدد، فمنها ما طرح في سياق تحديد الحكم الشرعي للأرض تبعاً لتقسيمها الموروث (دار إسلام أو دار حرب)، ومنها ما طرح في سياق تحديد الموقف السياسي من السلطة ومشروعيتها، ومنها ما طرح في سياق تحديد الموقف الوطني تجاه الاستعمار الأجنبي. وبغض النظر عما توصلت إليه تلك المقاربات، فإن المهم أولاً وقبل كل شيء –بنظر الباحث– هو فهم العالم المحيط بنا، والاستيعاب الدقيق لواقعه قبل الحكم له أو عليه انطلاقاً من مقاييسنا؛ لأن الواقع دائماً مركب ويتداخل في بنائه عناصر متشابكة من الزمان والمكان والأحداث؛ ولذلك، فإننا إن أطلقنا الأحكام من غير وعي تام بواقعنا ومصالحنا فقد نقع في عزلة عن عالمنا المعاصر.

- مسألة علاقة الانتماء بوحدة الأمة وبالاستبداد الحاصل فيها، وهي علاقة لا تتحقق إلا في جو من السلم بين مكونات المجتمع والأمة، وفي جو تسوده حرية التعبير عن الرأي. على أساس أن اختلاف الآراء وتباينها لا يناقض مطلقاً مبدأ الانتماء ووحدة المجتمع؛ لأن الاختلاف أمر واقع بين الناس، فلا يلزم أن يكونوا جميعاً نسخة واحدة في آرائهم وأفكارهم، ولذلك لا يقبل الاستبداد والكبت ولو كان تحت شعار الحفاظ على

المجتمع ووحدة الانتماء، على أن تكون حرية الرأي منضبطة حتى لا تنتقل من دائرة الفكر إلى دائرة الفوضى والبغي.

- مسألة انتماء واقع المتجنس إلى الإسلام، وهذه المسألة تحكمها حقيقة معاصرة، مفادها أنه لم يعد الانتماء إلى الإسلام هو المعيار الأساس في الوجود المجتمعي للمسلم، وأصبح وجود الفرد وانتماؤه في كثير من الأحيان يتحدد بما يصطلح عليه اليوم بالتجنّس، والتجنّس كما يفرز مصالح للأفراد، فإنه أيضاً يضعهم ويضع مجتمعاتهم وأمّتهم في إشكالات كثيرة، والتي من أخطرها ضعف انتماء بعضهم أو حتى خيانتهم حفاظاً على المكتسبات أو هروباً من الضغوطات في بلدانهم الأولى، وعلى أي حال، فإن الأصل أنّ تجنُّس المسلم بجنسية أخرى يجب ألاّ تحد من طبيعة انتمائه الإسلامي ما دام يحافظ على معاني هذا الانتماء ومستلزماته، لا سيما فيما يتعلق بإقامة شعائر الدين ومراعاة أخلاقياته؛ لأن الانتماء للدين أوسع مدى من كل الحدود وأقوى من كل السلطات.

٢. **مفهوم الأمة الإسلامية ومقوماتها في هدي المصطفى ﷺ**، للباحث إحسان سمارة، والذي يشير إلى أن مفهوم الأمة في الإسلام كان يطلق أحياناً على جماعة المؤمنين بالإسلام. إلا أنه اكتسب معنى سياسياً وحضارياً بعد إقامة دولة الإسلام الأولى في المدينة المنورة، وتقرر فيها أن الأمة هي جماعة الناس المنضوية تحت ظل الدولة الإسلامية والمنتظمة بأنظمتها على اختلاف لغاتهم أو أديانهم أو أعراقهم أو ألوانهم والقائمة على نحو دائم على أرضها برضى واختيار. وبذلك يكون مفهوم الأمة أوسع من مفهوم الشعب، والشعب لا يؤلف أمة إلا إذا انصهر مغ غيره في رابطة مبدئية إنسانية بعيدة عن النزعات العنصرية والطائفية. أما مقومات الأمة الإسلامية فهي -كما يبين الباحث- الأواصر الإيمانية، والوحدة السياسية والفكرية، والولاء لله ورلسوله ولجماعة المسلمين، والانصهار في البوتقة الإسلامية بعيداً عن الانتماءات العرقية أو الدينية أو الإقليمية، وكذلك هي أمة لها رسالة إلهية يتوجب عليها أن تقوم بها تجاه البشر في العالم كله، ما يقتضي أن يكون لها قابلية التوسع والانفتاح على الآخرين الذين يقبلون بها، بما يجعل مفهومها يختلف بل ويتناقض مع مفهوم الدول والأمم الأخرى في القوانين والسياسات الدولية.

٣. **المذهبية والأمّة من التأزم إلى محاولات التقارب (دراسة تحليلية نقدية لمجلة الإسلام الصادرة عن دار التقريب بين المذاهب الإسلامية ١٩٤٧–١٩٧٢م)**، للباحث حسان عبد الله حسان، الذي أراد في بحثه التعريف بالأفكار الأولى لحركة التقريب بين المذاهب الإسلامية في صورتها المؤسسية، والوقوف على أهم الآراء المطروحة في مجلة "رسالة الإسلام". وذلك من خلال أربعة محاور، هي:

- التصور الفكري للأزمة المذهبية، والذي يرى أن العامل السياسي هو جوهر الخلافات المذهبية، وأنه بالرغم من أن تلك الخلافات نشأت في ضوء اختلاف الآراء والافكار إلا أن أدلجة المذاهب وصبغها بأصول العقيدة أدت إلى تعميق الأزمة المذهبية، مما أفرز تعصباً مذهبياً وتقديساً للتراث، وقد أدّى ذلك كله إلى حالة الضعف الفكري والسياسي والتراجع الحضاري الذي يعاني منه العالم الإسلامي.

- منهجية الإصلاح المذهبي، وتقوم على أن مشروعية الاختلاف الفكري الذي لا يسبب عداء أو فرقة هو عامل إغناء للفكر والنهضة، ولذلك تعمل جماعة التقارب على تقريب وجهات النظر بين المسلمين، اعتماداً على وحدة الأصول العامة للإسلام الجامع لهم، على أساس أن الأزمة المذهبية هي أزمة منهج وتفكير وليست عقيدة وأصول.

- قضايا الإصلاح المذهبي، ومن أهمها تصحيح منهج التفكير المذهبي، وإصلاح علم التوحيد أو علم الكلام الذي اتخذته المذاهب طريقاً لتدشين الاختلافات بصورة عقدية، وامتلأ بالخلافات الكلامية التي تؤيدها، وكذلك تجديد الفكر الديني على أساس أن التعصب المذهبي يرجع في كثير من أسبابه إلى الجمود المذهبي والتعصب للآراء القديمة دون مراجعتها أو تقديم اجتهادات جديدة.

- دور مجلة رسالة الإسلام في تأسيس الوعي التقريبي؛ إذ يقول الباحث بأن مجلة رسالة الإسلام مثّلت مصدراً للإشعاع الفكري والثقافي لفكرة التقارب بين المذاهب، من خلال منهج فكري وعلمي متميز، من أجل تشكيل وعي منهجي بالفكرة من ناحية، وبطريقة التناول العلمي المنفتح والشامل من ناحية أخرى.

الباب الثالث: معيقات الانتماء إلى المجتمع والأمة: ويتضمن ثلاثة فصول على النحو التالي:

١. أزمة الانتماء على ضوء مقاصد الشريعة والنظريات الاجتماعية والسياسية، للباحث عبد القادر عبد العالي، الذي يرى أن التحولات السريعة التي يعيشها العالم اليوم وما نتج عنها من صراع الهويات جعل من الانتماء إحدى الأزمات التي تنخر كيان المجتمعات والأمم، وأن المشكلة في العالم العربي والإسلامي اليوم هي وجود فجوة كبيرة بين الطموح القومي والطموح الأممي والواقع القطري والمحلي من جهة، وتناقض الهويات بدل تكاملها من جهة أخرى. وقد تبلورت عند عدد كثير قناعة مفادها استحالة بناء كيانية سياسية تضمن الانتماء إلى الأمة أو القومية وتعمقه، فهناك تشكيك في مسألة إحياء الخلافة الإسلامية لتجديد تجسيد كيان الأمة السياسي –مثلاً– رغم أن الأمة الإسلامية في بعدها الديني لا تزال حية ومستمرة نظراً للبُعد العقدي والتاريخي الذي يوحدها، ولثقل الموروث الحضاري والتاريخي المشترك للعرب والمسلمين. ومن هنا تأتي أهمية دراسة الانتماء على ضوء مقاصد الشريعة، كونها تساعد على بلورة التصور الإسلامي لرؤية الأشياء والوقائع ووضعها في مواضعها، والمهم هنا –كما يشير الباحث– هي معرفة أن الانتماء للإسلام انتماء رسالي يؤسس لتكوين جماعة أو أُمّة فوق القوميات والإثنيات، وتغليب الانتماء إليها على الانتماءات الأخرى الفرعية، وأن مقاصد الشريعة ذات أهداف سامية لا تقتصر على حفظ الانتماء للإسلام وللأمة فقط، وإنما حفظ مصالح البشر أيضاً، والمصلحة –كما هو معلوم– لها علاقة بالهوية، فالمصالح تحدد هويات الناس وتقرر مصيرها والجدوى من الانتماء إليها. ومن استقراء النصوص الإسلامية ومقاصد الشريعة، يمكن أن نعرف معالم تحديد الانتماء، بغرض تفادي الصراعات وضياع الهوية، وفق أسس من أهمها: توسيع مدارس الانتماء، والابتعاد عن التمركز على الذات، وحفظ مقومات الانتماء المهمة ولا سيما الدين والنسب، وكذلك تهذيب الانتماء من نوازع التعصب وأشكال التحيز الذي يؤدي إلى الانقسام والتفرق، ثم إعادة صنع الانتماء وصياغته من جديد وفق الهوية المشتركة الجامعة للأمة.

٢. **الطائفية والانتماء إلى الأمة**، للباحث عمار جيدل؛ إذ يرى أنه لا يخفى على المسلمين أن دينهم في نصوصه الواضحة البينة يؤكد على وجوب الوحدة بين مجمل مكونات الأمة في مذاهبهم وطبقاتهم الاجتماعية، وأن شريعتهم تدعو إلى أن تتحول هذه الوحدة الدينية إلى وحدة شعورية يتقاسمون من خلالها الآمال والآلام. ورغم ذلك، فإننا نعيش صراعاً بين أبناء الأمة مشحوناً بالتعصب الطائفي لم تسلم منه حتى المساجد، بما يدل على أن الطائفية إن تركت أو تمكنت فستكون من أهم وسائل الدمار الشامل، ولذلك تعيّن إبعاد هذا الخطر الدائم عن الأمة من خلال استعادة معاني الانتماء بين المسلمين، والسعي الجدّي لنشر أصول ثقافة الوحدة، وتوضيح العلاقة الموضوعية بين الدين والمذهب، وأن الوحدة الإسلامية لا تقتضي إلغاء المذاهب، بل تريد الاعتراف بها؛ لأن من الاستحالة جمع المذاهب كلها في مذهب واحد أو إلغائها جميعها، ولا بدّ من الاقتناع بأن الوحدة في كنف التعدد المؤسس على التنوع الموضوعي حقيقة شرعية تفرضها مضامين الدين وطبيعته وحركته، ولا يتسنى نجاح هذا المسعى ما لن نبتعد عن عقلية التهويل من الخصومات المذهبية، وتحرير الخطاب الفقهي من الأسر المعنوي والإداري والمعرفي الذي تمارسه القوى المتحكمة في سوق المعلومة والمال، ولا يتأتى هذا الأمر إلا من خلال مبادرة النخب والقيادات الفكرية والساسية إلى ذلك أوّلاً.

٣. **الحرمان من حقوق المواطنة أو الانتقاص منها وأثره في الانتماء**، للباحث منذر عرفات زيتون. الذي بيّن إلى أن هناك علاقة وثيقة بين احترام حقوق المواطنة، والانتماء، وأنه كلما كانت تلك الحقوق محترمة ومكفولة للأفراد كانوا أكثر انتماءً لوطنهم ولمجتمعهم ولأمتهم، على أساس أن المواطنة علاقة تقوم في جذورها على قواعد من الحقوق والواجبات، لا بدّ أن ينال المواطن بموجبها حقوقه دون تبخيس أو انتقاص أو حرمان، وبغض النظر عن جنسه أو دينه أو قوميته أو لغته، وأن يقوم أيضاً بواجباته التي تقتضيها تلك المواطنة، ومن أهمها احترام الآخرين وحقوقهم وحفظ القيم والعمل على قوة الوطن وازدهاره. وفي المحصلة فإن المواطنين لن يشعروا بالرضى والأمن ومن ثم بواجب الانتماء لأوطانهم، إلا إذا شعروا باحترام مواطنتهم وتمكنهم من التمتع بحقوقهم كلها، وأن حرمانهم من تلك الحقوق أو انتقاصها لسوف يؤثر على مستوى انتمائهم وولائهم

وأمانة قيامهم بواجباتهم، ولعل ما نشهده اليوم من ضعف علاقة كثيرين من مواطني الدول العربية والإسلامية بأوطانهم وأمتهم وهجرانها، بل والتآمر ضدها، خير دليل على ذلك. ولأن الحقوق في الشريعة الإسلامية هبة من الخالق وليست مِنَّة من أحد، فإنه لا يجوز استلابها أو مصادرتها تحت أي ذرائع أو دوافع، لأنها في الحقيقة لن تكون إلا أسباباً وهمية تعبّر عن تحكم أصحاب السلطة والقوة والجاه من أجل مصالحهم، وعلى حساب قوة الأوطان ووحدة الأمة وحريات الآخرين.

الباب الرابع: دراسات باللغة الإنجليزية ويتضمن ثلاثة فصول

يبدو أنَّ وجود هذه الأوراق باللغة الإنجليزية يعزى إلى أنَّ معهد دراسات الإسلام في العالم المعاصر كان أحد وحدات الجامعة الأردنية التي أسهمت في تنظيم المؤتمر. وهذا المعهد يقدم برنامجاً في مرحلة الماجستير في الدراسات الإسلامية باللغة الإنجليزية. وقد عرضت هذه البحوث الثلاثة في جلسة من جلسات المؤتمر حضرها أساتذة ذلك المعهد وطلبته.

١. **الدين والقومية في فكر محمد إقبال**، للباحثة سميرة الخوالدة، من الجامعة الأردنية.

وتناول البحث مفهوم الانتماء بوصفه محوراً أساسياً في فكر الفيلسوف الشاعر محمد إقبال. وتتبعت الباحثة تطور المفهوم من الدلالة القومية التي لا خيار للإنسان فيها، إلى دلالة المبادئ الدينية التي تقوم على حرية اختيار الإنسان. وخلص البحث إلى أن إقبال يؤمن بالوحدة الإنسانية لأن مبادئ الإسلام مبادئ إنسانية عامة، وأن الحضارة هي جهد إنساني مشترك، تسهم في بنائه الشعوب، وأن هذه المبادئ قادرة على الجمع بين البشر، وتحقيق مصالحهم المشتركة، وتجاوز أسباب الصراع فيما بينهم.

٢. **معوقات عملية الانتماء: مفهوم القوامة**، للباحثة دعاء فينو؛ الباحثة في الدراسات الإسلامية وقضايا المرأة.

ويعالج البحث مفهوم القوامة بوصفه مفهوماً مفتاحياً يؤثر في انتماء المرأة المسلمة لأمّتها. ورأت الباحثة أن المفهوم المتداول للقوامة في كثير من المجتمعات الإسلامية يتجاوز الدلالة الإيجابية والفاعلة، كما هي في الهدي القرآني والأنموذج النبوي، إلى تفسيرات مغلقة، ومشوبة بتأويلات مغلوطة تؤثر على انتماء المرأة المسلمة إلى الأمة، لا سيما في حالة المسلمات الجدد في العالم الغربي.

٣. الهدي القرآني والنبوي في التغلب على المعوقات النفسية للانتماء للأمة، للباحث علاء الدين عدوي من الجامعة الأردنية.

يلاحظ البحث وجود معوقات نفسية تؤثر على عمق انتماء الفرد إلى الأمة، بعضها ناتج عن أهواء الفرد وشهواته، وبعضها الآخر ناتج عن تقاليد المجتمع وممارساته. ويبين الباحث أن الهدي القرآني والنبوي يعملان على معالجة هذه المعوقات، من خلال الروابط التي يقيمها الإسلام بين أفراد المجتمع وجماعاته، وتؤدي إلى وحدة البناء الاجتماعي وتماسكه، وتعزيز مشاعر المودة والأخوة بين أبنائه، وبذلك يتحقق صدق الانتماء وتتوجه طاقات الأفراد إلى ما يخدم المجتمع والأمة.